مطرّزات الطيور في الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني

دراسة مقارنة بين الموروث والدخيل

Birds Embroidery on the Traditional Palestinian - Village Women's Dress

A Comparative Study Between the Exotic and the Inherited

Mohammad Ahmad Mosleh
Researcher\ The Ministry of Education\ Jordan
aamer982@yahoo.com

محمد أحمد مصلح
باحث / وزارة التربية والتعليم/ الأردن

Received: 24/ 11/ 2021, **Accepted:** 17/ 4/ 2022.
DOI: 10.33977/0507-000-061-001
https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

تاريخ الاستلام: 24/ 11/ 2021م، **تاريخ القبول:** 17/ 4/ 2022م.
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

الملخّص

هدفت هذه الدراسة الكشف عن مطرّزات الطيور الموروثة والدخيلة في الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني في الفترة الممتدّة بين عامي (1930 – 2020) . وقد سلك الباحث المنهج المقارن لمناسبته هدف الدراسة. تناول البحث دراسة عناصر ووحدات التطريز في الثوب، وأماكن توزّع مطرّزات الطيور عليه، وأهم خصائص مطرّزات الطيور الموروثة والدخيلة. أظهرت النتائج تأثّر الثوب التقليدي بشكل عامّ بكتيّبات خيوط DMC التي تحتوي على رسوم حديثة قادمة من أوروبا في مطلع القرن العشرين. وقدّم البحث الأدلة النظرية والعملية التي توضّح وجود طيور دخيلة على الثوب، كما بيّنت أهمّ الخصائص التي تُميّز مطرّزات الطيور الموروثة عن تلك التي تحمل مطرّزات الطيور الدخيلة من خلال عقد مقارنة تفصيلية بينهما. كما صنّفت الدراسة الثياب المطرّزة بناء على الموروث والدخيل من المطرّزات. وتضمنت الدراسة مجموعة من المقترحات والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: تطريز، طيور، الثوب الفلسطيني.

Abstract

The study aimed to reveal the embroideries of inherited and exotic birds on the traditional Palestinian village women's dress within the period of 1930 - 2020. The researcher followed the comparative approach which is suitable for the study objective. The study clarified the elements and units of embroidery in the dress, the distribution of birds' embroideries on it, and the most important characteristics of inherited and exotic birds' embroideries. The study results revealed that the traditional Palestinian dress was affected in general by DMC thread brochures that contain modern drawings from Europe in the beginning of the nineteenth century. They also presented theoretical and practical evidence that show the presence of exotic birds on the dress. Moreover, the results showed that the most important characteristics that distinguish inherited birds' embroideries from the exotic birds' ones through a detailed comparison between them. On the other hand, the study classified the embroidered clothes based on the inheritance and the exotic of the embroideries. The study included a set of suggestions and recommendations.

***Keywords**: Embroidery, birds, the Palestinian dress.*

المقدّمة

تميّزت كل منطقة بزيّ تقليدي وَسَمَها عن غيرها والذي توارثته عبر الأجيال يُعَبَّر من خلاله عن أصالة الشعب ومدلولاته الثقافية. وقد حرصت الشعوب على دراسة تاريخها والعناية به. تحاول بذلك إظهاره ونَفْض الغبار عنه لتعيد له الحياة. تتخذ في ذلك منهج الحداثة القائم على المعرفة. فترى من المحافل الدولية والأكاديمية والمناسبات الوطنية مراكز إشعاع لإظهار المتوارث منها كالزيّ الوطني. وترتكز رمزية المتوارث في هيئة الحفاظ عليه، وعدم التأثر بصروف الظروف وتغير المكان. وهذا يُظْهِر المتوارثَ من الزيّ أنه أصيل موغلٌ في القِدَم وله مكانته موصفًا شعبه أنه عظيم بين الشعوب.

ويعدّ التطريز أهمّ ما يميّز الأزياء الشعبية النسوية في فلسطين، وهو فنّ تناقلته الأمّهات عن الجدّات الذي ساهم في توريث هذه الحرفة اليدوية، وبقاء الثوب مشاهدا ليومنا. بَيْدَ أنه قلّ هذا التناقل حتّى أمسى يعلّم في المراكز والجمعيات. وقد امتاز هذا الزيّ بتعبيره – من خلال مطرّزاته – عن تفاعله مع بيئته الثقافية والاقتصادية والجغرافية. وكان له دورًا في المساهمة في ضبط أصول التطريز، ووضع أسسًا راسخة له قائمًا على بنية الثوب منذ بدء قصّ القماش مرورًا بما حواه من مطرّزات مختلفة في الألوان والكثافة وانتهاءً بجمعه. أمّا ما تسلّل إليه من مطرّزات دخيلة "ليست موروثة" فقد كان لها تأثير محدود، ولم يؤثر في بنية الثوب أو أصول التطريز فيه، بل أضافت للثوب مطرّزات جديدة امتازت بالحداثة والتنوّع وبخاصّة فيما كان من النباتات والطيور.

عناصر ووحدات التطريز في الثوب

انتشر التطريز في معظم أرجاء فلسطين باستثناء المنطقة الممتدّة من جنوب نابلس وحتّى جنوب الناصرة. يظهر أنه كلّما اتجهنا من وسط فلسطين إلى جنوبها زادت كثافة التطريز. وقد حوى الثوب المطرّز على عناصر ووحدات زخرفية أساسية تتكوّن من خلالها المطرّزات المتعدّدة فيه، **وإليك أهمّها**:

- **أولا – عناصر التطريز**: تتكوّن من أربعة أشكال هندسية رئيسة: المربّع والمعين والمثلث والخطّ. ويؤخذ بعين الاعتبار ترك الحرية للمرأة في التحوير البسيط لهذه العناصر مع ما يتلاءم مع الشكل النهائي للمطرّزة (عناني ومنصور، 2011، 17) . انظر النماذج رقم (1 – 4) .

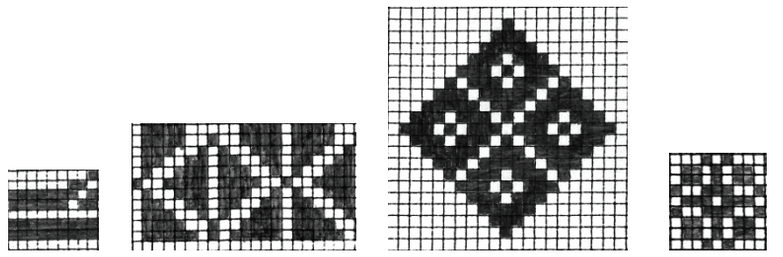

المربع (1) المعين (2) المثلث (3) الخط (4)

- **ثانيا – وحدات التطريز**: تتكوّن الوحدات من عنصر أو أكثر من عناصر التطريز السابقة، ومن أهمّ هذه الوحدات السرو والنخل والنجمة والقرص والطيور والنفنوف (عناني ومنصور، 2011، 19) . انظر النماذج رقم (5 – 10) .

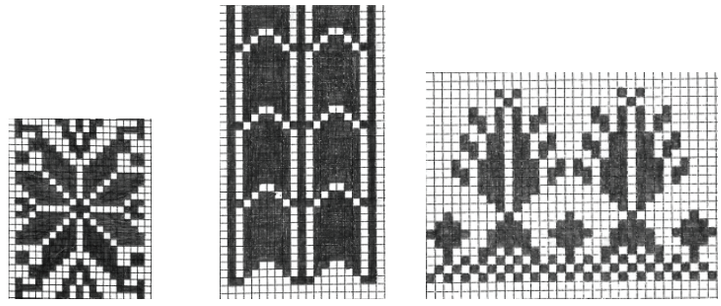

السرو (5) النخل (6) النجمة (7)

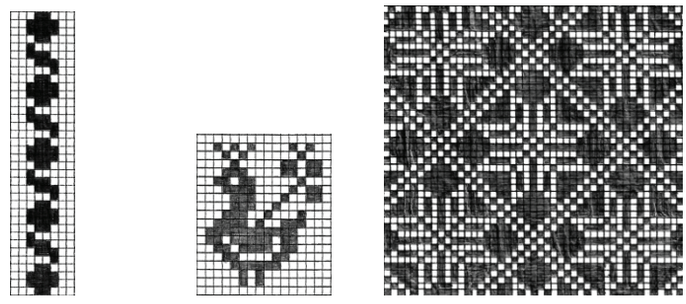

القرص (8) الطيور (9) النفنوف (10)

توزّع مطرّزات الطيور في الثوب

تنتشر الطيور على مساحة الثوب النسوي التقليدي، فهي مكوّن رئيس في عروق البدن فتمنح الثوب اسمه، كثوب عرق البطّ أو العصفور أو الطاووس، أو كمكوّن فرعي كما في القبّة والكمّ. **وهي تنتشر في مواضع عدّة من الثوب**:

- **أولا – العروق**: تقع على البدن (الأمامي والخلفي) ، والبنايق، وفي نهاية العروق، وحول فتحة الكمّ والذراع إن كان العرق ذو عرض قليل. انظر النماذج رقم (11) ، (12) ، (13) .

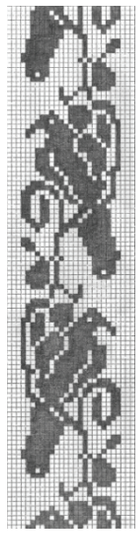

(13)

(12)

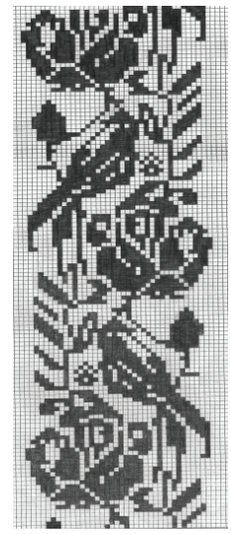

(11)

- **ثانيا – القبّة**: تقع في داخل الأقمار، أو داخل القوس، أو فوق القبّة (بين الرقبة والكتف) ، انظر النماذج رقم (14) ، (15) ، (16) .

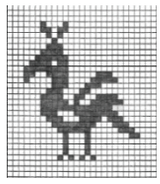

(16)

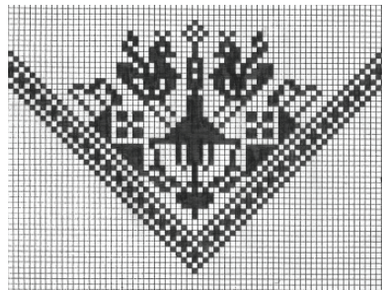

(15)

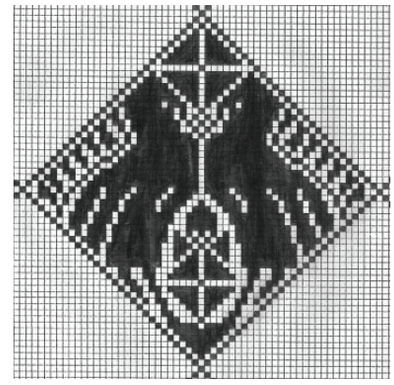

(14)

- **ثالثا – الكمّ والذراع**: تقع في مطرّزات ما حول فتحة الكمّ، أو في نثرة الذراع، انظر النماذج رقم (17) ، (18) .

(18)

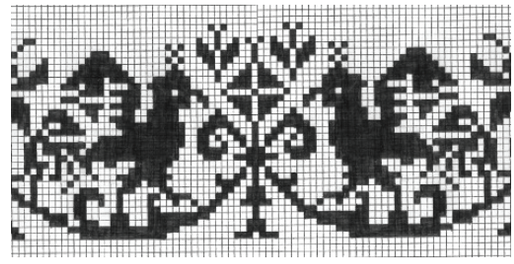

(17)

أثر مطرّزات الطيور الدخيلة على بنية الثوب

لعبت المطرّزات الدخيلة وبخاصّة الطيور دورًا في استبدال بعض مطرّزات الثوب الموروثة والحلول مكانها، كما تبوّأت مكانة مهمّة لدى المرأة؛ لحداثتها وجمالها وتعدّد موضوعاتها. حال أصالة بُنْيَة مُطرَّزات الثوب الموروثة من أن يَمَسَّه خَللًا بما طرأ من تجديد. وقد رَسَّخت الضوابط والقواعد المتبعة في بناء التطريز تموضع المطرَّزات الجديدة بانتظامها ضمن قواعد وأصول التطريز التقليدي. وهذا جعل ما اكتسبه من التأثر المحدود يُضفي على الثوب شكلًا جماليًا، فغدا متماهيًا في داخل العروق والقبّات والنثرات والذيال، وأصبحت جزءًا من المطرّزات التقليدية تحمل خصائصها ما يُشْكل على غير الباحثين وخبراء التطريز تمييزها.

مطرّزات الثوب بين الموروث والدخيل

وَجَدَت المطرّزات في كتيّبات التطريز التي ظهرت في مطلع القرن العشرين القبول والرواج لدى المرأة الفلسطينية. جعلها ذلك تقتبس منها العديد من النماذج ذات المواضيع الهندسية والنباتية والحيوانية، وأشكال الطيور على وجه الخصوص. ولكنّ هذا القبول للمطرّزات الجديدة لم يحجب المطرّزات الموروثة عن الثوب؛ بما عمدته المرأة من مزج الأصيل والحديث من خلال عملية يسمّيها الباحث (المَوْخَلة) : أي بناء الثوب بالاعتماد على الموروث والدخيل من المطرّزات معا. واتبعت المرأة الفلسطينية النقل والاستنساخ للمطرّزات «الموروث والدخيل» معًا من ثوب لآخر بالطريقة التقلدية. وهذا الأسلوب المتقن في الدمج والتماهي أوقع كثيرين في وَهْم موروثها وأصالتها.

يقترح الباحث من خلال بُنْيَة مظهر الثوب المُطَرَّز أن يطلق عليه «المورو – خيل» أي الحاوي في مطرّزاته على الموروث والدخيل معًا. **وبناءً على ما سبق فإنّ الباحث يرى أن تصنّف الأثواب المطرّزة التقليدية إلى ثلاثة أصناف، وهي:**

- الأول: الثوب الموروث التقليدي الذي تعود مطرّزاته إلى قبل عام (1930م) أي قبل وصول كتيّبات التطريز من أوروبا. ولم يعد من اليسير استنساخ هذا الثوب بشكل كامل بالطريقة التقليدية كثوب لحياة المرأة اليومية. ولكن تمَّ الاعتناء بهذا الثوب والحفاظ عليه في المتاحف والمعارض والجمعيات والأفراد.
- الثاني: الثوب الموروث التقليدي المتأثّر بشكل مباشر من خلال نقل المطرّزات عن كتيّبات التطريز، والتي ظهرت في عام (1930م) قادمة من أوروبا.
- الثالث: الثوب الموروث التقليدي الذي استنسخت مطرّزاته عن الثوب المتأثر بشكل مباشر بكتيّبات التطريز، أي ثوب الصنف الثاني، وقد جرى تناقل مطرّزاته واستنساخها عبر الأجيال لاحقًا. وهذا الثوب التقليدي الذي نراه يَلْبَسْنَه النساء اللواتي وُلِدْن في فترة (1920 و 1945) بصفته ثوب الحياة اليومية.

وينوّه الباحث أنّ لدى المرأة الحرية في اختيار المطرّزات من ثوب واحد، أو من أكثر من ثوب بما تراه مناسبًا لذوقها. وتعدّ هذه السمة من سمات تقنيات نقل المطرّزات بالطريقة التقليدية. وبناءً على ما تم تصنيفه سابقًا فإنّ الباحث يطلق اسم ثوب «المورو – خيل» على الصنفين الثاني والثالث اللذين انتشرا منذ الخمسينيات واستمرا إلى يومنا هذا، ويستثنى الصنف الأول لأصالته.

الدراسات السابقة ومناقشتها

اعتنى عدد من الدارسين والباحثين بدراسة الزيّ الفلسطيني متناولين إياه من الجانب الحضاري والتاريخي والاجتماعي. واتصفت دراساتهم بالدقة والشمول من جانب والتعميم أحيانًا. يضع الباحث بين يدي القارئ جملة من هذه الدراسات مرتبا إيّاها من الأقدم إلى الأحدث:

وضّح **العلان** (2011) أثر التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني المطرّز، وقد سلك في دراسته المنهج الوصفي. وبيّن أنّ الشعب الفلسطيني واحد من شعوب الأرض التي عاشت تجربتها الحضارية وخاضت صراعات من أجل الدفاع عن مكوّناته الثقافية وهويته التي تشكّلت عبر السنين، وكان في مقدّمتها نقوشه ورموز معتقداته التي خلّدتها ثياب النساء المطرّزة الموروثة عبر الأجيال المتلاحقة. وأظهرت دراسته تاريخ ودلائل وإشارات المطرّزات المتعدّدة التي تجدّدت في مراحل تاريخ الشعب الفلسطيني متخذًا نماذجًا واكبت الحدث في استدلاله. وأوصى بضرورة تحليل مضامين رموز المطرّزات، والحرص على الموروث من هذا الزيّ.

أمّا دراسة **الكسواني** (2011) فسلّطت الضوء على الملابس الشعبية في الخليل، سالكة المنهج الوصفي في دراستها. وضّحت أنّ اتّصاف الملابس الشعبية بصفات التقليد والوراثة والمحلية لا يعني أن تبقى هذه الملابس على ما هي عليه دون تغيّر أو تبدّل بل إنّ هذا التغيّر والتطوّر صفتان من صفاتها الحيوية. وذكرت الباحثة أهمّ أسماء مطرّزات الطيور في الثوب: عرق البطّ والديك والحبش والطاووس والنعامة والحيّة المريّشة و «الحماة وكنّتها» والعصافير. وأوصت الباحثة بضرورة التمسّك بالملابس الشعبية الموروثة والاحتفاء بها في المحافل من خلال لباسها والاعتزاز بها.

وهدفت دراسة **أبو جبين** (2012) الكشف عن الأزياء الشعبية في جنوب محافظة الخليل، وقد سلك الباحث المنهج الوصفي في دراسته. بينت الدراسة أنّ هذه المنطقة يتشابه فيها الزيّ التقليدي المطرّز بشكل كبير. وحرص الباحث على تسليط الضوء على الملابس الشعبية المندثرة أو التي في طريقها للاندثار. ونَوَّه إلى مرونة هذا الزيّ وقدرته على التفاعل مع ما يحيط به من الأحداث والمراحل والتقلبات. وأشار إلى أنّ مطرّزات الحمامة والديك والعصفور والحبش ورجل «الجاجة» هي أبرز الطيور التي نراها في مطرّزات الأثواب. وأوصى الباحث بأهمية إبراز خصوصية الشعب الفلسطيني وجذوره من خلال إحياء تراثه.

تكمن أهمية دراسة **عبد اللطيف** (2012) في إظهاره مراحل تطوّر الزيّ الشعبي الفلسطيني التاريخية. وأشار إلى مدى أهمّيته ودلالاته المختلفة، وطبيعة ونوعية الزخارف والألوان المستخدمة فيه، وما تعكسه من دلالات اجتماعية، واقتصادية، وعمرية، ودينية بين طبقات وشرائح المجتمع الفلسطيني. وفي نهاية الدراسة أوصى الباحث بضرورة تقديم أشكال الدعم للمهتمّين في مجال الزيّ الشعبي، وتشجيع ارتدائه في المناسبات والمحافل الوطنية، وتسليط الضوء عليه من خلال وسائل الإعلام والمتاحف.

وهدفت دراسة **مصلح** (2019) الكشف عن أثر الأحداث السياسية في مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي، في الفترة الممتدة بين عامي (1900 – 2000) ، وسلك الباحث المنهج التاريخي.

وأظهرت النتائج مرونة وتفاعل الثوب من خلال تأثر مطرّزاته بالأحداث السياسية المهمة بشكل محدود وضيق جدا، من غير ثوب الانتفاضة الذي تفاعل مع الحدث لدرجة تَبَدُّل مطرّزاته بشكل جذري. وفي نهاية الدراسة اقترح الباحث تخصيص معرض يضمّ الأثواب الفلسطينية ذات المطرّزات المتأثرة بالأحداث السياسية، والتركيز على ثوب الانتفاضة.

أظهرت الدراسات السابقة تَمَيُّز الثوب الفلسطيني المطرَّز في خصائصه ومدلولاته ومكوّناته وقدرته على التكيّف والتطوّر عبر الزمان. وهذا ما أكسبه المرونة في مواجهة التحديات والقدرة على الصمود والبقاء.

ففي دراسة الكسواني التي وضّحت المفهوم والنشأة والأهمية والوظيفة للملابس الشعبية للمرأة في محافظة الخليل تُظْهر إنّ التغيّر والتطوّر صفتان من صفات الملابس الشعبية الحيوية. وأوضحت دراسة أبو جبين ودراسة مصلح صفة مرونة الزيّ الشعبي المطرّز من خلال تفاعله مع ما يحيط به من الأحداث والمراحل والتقلبات. الأولى قدّمت نبذة تاريخية حول الأزياء التقليدية الفلسطينية وفنّ التطريز ومكونات الثوب، والثانية سلطت الضوء على أثر الأحداث السياسية بصفة خاصة على مطرّزات الثوب الفلسطيني. وفي دراسة العلان فقد تم تناول الثياب من حيث الضرورة والجمال، وتناول التطريز الفلسطيني من حيث التاريخ والإشارات والتنوّع وتسليط الضوء على الرموز والنقوش الأساسية في ثياب المرأة الفلسطينية، وبيان أثر التراكم الحضاري في تشكيلها. وأجمعت الدراسات على ضرورة الاحتفاء بالزيّ الشعبي الفلسطيني وارتدائه في المحافل والمناسبات بوَصْفِه أداة للحفاظ على الهوية والموروث الزيّ الفلسطيني.

يرى الباحث من خلال هذه الدراسات الاقتصار على ذكر مطرّزات الطيور: الديك والدجاجة والعصفور والحمامة والبط والحبش بوصفها من أهم وحدات التطريز في الثوب. أمّا مسألة تناول مطرّزات الطيور الموروثة والتفريق بينها وبين الدخيل منها فقد أهملته الدراسات ولم تتطرّق إليه؛ ما استدعى الباحث لتناوله في هذه الدراسة بشكل منفرد.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

إنعامُ النظرِ والتأمّلُ في مطرّزات الطيور في الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني «المورو – خيل» يَكْشفُ عن دقّة الأداء وكمال التصوير. بعضها يوقع الشكّ في أصالتها، ويثير التساؤل عن كونها أصيلة وموروثة عبر التناقل من ثوب لآخر بالطريقة الشعبية للمطرّزات. إذ كانت تتمّ من خلال إعارة الثوب إلى حين نقل واستنساخ ما عليه من مطرّزات ثمّ إعادته لمالكته دون أن يتمّ هذا النقل بالاعتماد على مصدر آخر كالرسوم أو الكتيّبات أو غيرها، والتي ظهرت مع مطلع القرن العشرين. هذا النمط المُطَرَّز «المورو – خيل» يثير تساؤلًا عن مدى الخلط بين المطرّزات الموروثة البسيطة وتلك الدخيلة التي يظهر عليها الاحترافية العالية، وعليه يحاول الباحث الإجابة عن السؤالين الآتيين:

- ما أثر كتيّبات خيوط DMC في مطرّزات الثوب بشكل عام؟
- ما هي الأدلة النظرية والعملية على وجود مطرّزات طيور دخيلة في الثوب التقلدي المطرّز؟

فرضية الدراسة

اقتصرت الدراسة على فرضية رئيسة، وهي:

– يحتوي الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني على مطرّزات طيور دخيلة ليست موروثة.

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة الكشف عن خصائص مطرّزات الطيور الموروثة والدخيلة في الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني، من خلال عقد مقارنة بين الصنفين، وإرفاق نماذج توضيحية لهما تبيّن سماتهما وأوجه الفروق بينهما، والكشف عن وجود مطرّزات دخيلة في الثوب التقليدي.

أهمّية الدراسة

تأتي أهمّية الدراسة من مكانة الثوب النسوي التقليدي المطرّز لانتشاره الواسع في فلسطين، وارتباطه وجدانيًا ومادّيًا بإرث الأمّهات والجدّات. ومن صفته الرسمية كلباس وطني فلسطيني يبرُز في المحافل والمناسبات المحلية والدولية. وتأتي الأهمية كذلك من خلال توضيح تفاعل الثوب مع محيطه ومنها كتيبات التطريز التي وصلت من أوروبا مع بدايات القرن العشرين. وتظهر أهمية البحث لريادته في سياق مُطَرَّزات الطيور إذ لم يُطْرَق من قبل كدراسة مستقلة مفصَّلة وواضحة. كما تتوضح الأهمية كذلك من إرفاق نماذج مطرّزات الطيور، وعدم الاكتفاء بتناول أسمائها؛ ما يسهّل من فهمها وتوضيحها.

حدود الدراسة

تحدّدت الدراسة بالحدود الآتية:

1. الحدود الزمانية: الفترة الممتدّة بين عامي (1930 – 2020) .
2. الحدود المكانية: مناطق انتشار القطبة الفلاحية المصلّبة، في وسط وجنوب فلسطين، وأماكن فلسطينيي الشتات الذين ارتدوا الثياب المطرّزة في قراهم قبل نكبة (1948) واستمروا في تطريزها في شتاتهم في المخيمات أو خارجها فيما بعد.
3. الحدود المنهجية: سلك الباحث المنهج المقارن لمناسبته الدراسة.
4. الحدود الموضوعية: الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني، ذو القطبة الفلاحية المصلّبة.

معيقات الدراسة

من السهولة تعرّض الأقمشة بشكل عام ومنها الثياب المطرّزة للبلى والتلف لأسباب عديدة منها الطبيعي أو المتعمّد وهذا التلف أهمّ معيق ظهر للباحث وأدّى إلى صعوبة العثور على ثياب يعود تطريزها لما قبل عام (1930) . وعوَضًا عن ذلك لجأ الباحث إلى ثياب ومطرّزات تمّ استنساخها طبقًا عن أصل – ضَمِنَ أصالة المطرزات التي على الثياب – تعود إلى بداية القرن العشرين. كما تَعَذّر على الباحث الوصول – بشكل مباشر – لكتيبات خيوط DMC التي انتشرت فيما بعد عام (1930) ، ولكن العثور على بعضها

بصيغة PDF في المواقع الإلكترونية قدّم مساهمة مفيدة. أمّا فيما يتعلّق بالدراسات التي تناولت الموروث والدخيل من المطرّزات في الثوب الفلسطيني فهي شحيحة وفقيرة ما شكّل صعوبة في الوصول إلى المصادر، ومعرفة الأسباب التي أسهمت في التأثير على مطرّزات الثوب التقليدي الفلسطيني، والكشف عمّا هو موروث وما هو دخيل منها.

التعريفات الاصطلاحية والإجرائية

اشتملت الدراسة على المصطلحات والتعريفات الآتية:

- **مطرّزات الطيور الموروثة**: طيور مطرّزة بالقطبة الفلاحية على الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني، تمّ تطريزها وتناقلها عبر الأجيال قبل وصول كتيبات التطريز القادمة من أوروبا إلى فلسطين في مطلع عام (1930م).
- **مطرّزات الطيور الدخيلة**: طيور مطرّزة بالقطبة الفلاحية على الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني، تمّ تطريزها نقلا عن رسوم احترافية من كتيبات التطريز القادمة من أوروبا مع مطلع عام (1930م) ، ثمّ تمّ تناقل هذه المطرّزات بطريقة النقل والاستنساخ من ثوب لآخر عبر الأجيال اللاحقة.
- **ثوب «المورو – خيل»**: الثوب الذي حوى على الموروث والدخيل من المطرّزات في آن واحد، سواء كانت المطرّزات الدخيلة منسوخة بشكل مباشر من الكتيّبات، أم بشكل غير مباشر من خلال نسخها من ثوب حواها.
- **القطبة الفلاحية**: قطبة تأخذ شكل حرف (x) ، وتسمّى أيضا بالقطبة المصلّبة بسبب شكلها، وتطرّز بخيوط قطنية أشهرها (DMC) الفرنسية، و (ANCHOR) الإنجليزية.
- **الثوب النسوي التقليدي القروي**: ثوب مطرّز بالقطبة الفلاحية المصلّبة ارتدته النساء بوصفه ثوب الحياة اليومية، وقد انتشر في وسط وجنوب فلسطين.

منهجية الدراسة وإجراءاتها

سلك الباحث المنهج المقارن في دراسته لمناسبته أهداف الدراسة من خلال عقد مقارنة بين مطرّزات الطيور الموروثة والدخيلة وبيان أهمّ الفروق بينهما. وكان مجتمع الدراسة من النساء اللاتي في مناطق انتشار القطبة الفلاحية المصلبة في وسط وجنوب فلسطين، ومن في الشتات من ارتدى منهنّ الثياب المطرّزة في قراهن قبل نكبة (1948) واستمرين في تطريزها في شتاتهن في المخيمات أو خارجها فيما بعد. وعينة الدراسة كانت بعض الثياب التقليدية المطرّزة لنسوة يعشن في مخيم إربد للاجئين الفلسطينيين – الأردن، من قرى غرب الخليل وشرق غزة، ومطرّزات أخرى من بعض المصادر تم الإشارة إليها.

نتائج الدراسة ومناقشتها

يقدّم البحث الإجابة عن سؤالي الدراسة اللذين يساهمان في إثبات الفرضية من خلال ما يقدّمانه من الأدلة التوضيحية في احتواء الثوب التقليدي على مطرّزات طيور دخيلة وليست موروثة.

- **أولا: أثر كتيّبات خيوط DMC في مطرّزات الثوب بشكل عام**

ظهرت في ثلاثينيات القرن العشرين مؤثرات غيرت بخصوصية التطريز التقليدي في الثوب الفلسطيني، وكان ذلك من خلال استخدام خيوط التطريز القادمة من أوروبا وما صَحِبَه من نقل وتقليد المطرّزات المُتَضَمَنَة في الكتيّبات الخاصّة بالتطريز الغربي بشكل مباشر. وكان أهمُ مظاهرِ التأثرِ تسرّبَ رسوماتِ الأزهارِ والطيورِ والحيواناتِ إلى أثوابِ النساءِ التقليدية. وقد بانَ ذلك جليا في الخمسينيات واستمر إلى يومنا هذا (قعوار وناصر، 1992، 18) ، وهذا ما أشار إليهما قعوار وسكنر: أنّ شركة خيوط DMC الفرنسية نشرت في مطلع الثلاثينيات كتيّبات أوصلت المطرّزات الجديدة إلى الثوب الفلسطيني التقليدي (Skinner and kawar, 2007, 12). ثمّ تمّ تناقل هذه المطرّزات عبر الأجيال بطريقة غير مباشرة: عن طريق استنساخها ونقلها من الأثواب التي حوت المطرّزات الدخيلة وبالطريقة التقليدية. ولم يكن النقل مباشرة من الكتيّبات. وكانت النسوة في ذلك يأخذن الثوب عارية ثمّ إعادته بعد الفراغ من نقل المطرّزات عنه؛ فَتَمَاهِي الدخيل بالموروث أوقع وهم أصالتها. للتوضيح انظر النماذج رقم (19 – 24) ، التي تحتوي على مطرّزات من كتيّبات خيوط DMC نشاهدها اليوم منتشرة على الثوب التقليدي الفلسطيني.

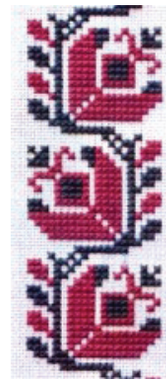

(19)

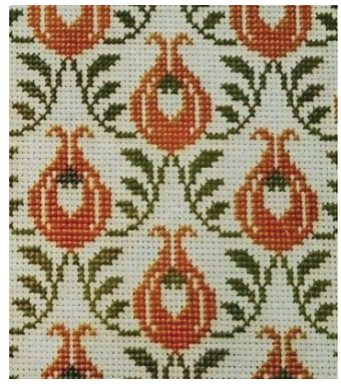

(20)

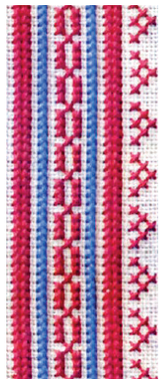

(21)

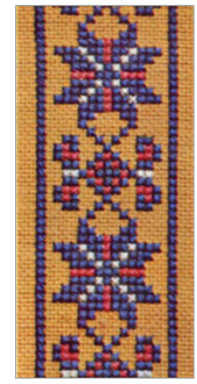

(22)

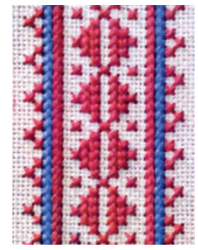

(23)

(24)

- **ثانيا: الأدلة النظرية والعملية على وجود مطرّزات طيور دخيلة في الثوب التقليدي المطرّز**

يمكن من خلال تحليل مطرّزات الطيور في الأثواب التقليدية الوصول إلى الأدلة التالية في إثبات فرضية دَخْل بعض مطرّزات الطيور وعدم أصالتها:

أ: **دقّة تصوير الطيور من حيث التشريح والنسب والتفاصيل**

من المعلوم أنّ المرأة حين تطرّز أيّ مطرّزة فإنها تسعى لإتقانها وإضفاء لمسة الجمال عليها، ولكن وبالرغم من هذا الحرص إلا أنّه توجد عدّة عوامل تقلّل من جودة المطرّزات. يعود ذلك إلى طبيعة تعليم المرأة المتدني في القرية قبل سنة (1948) ما انعكس سلبا على مهارتها في الرسم وفهم تشريح ونسب الطيور. كما تلعب سَلْبًا تقنية التطريز التي تتم بواسطة غَرْز الإبرة مباشرة على القماش دون الرسم المسبق عليه أو على الورق. ويُعَدُّ تعذّر إعادة تشكيل الطير على القماش في حال وقوع الخطأ فيه بسبب عناء تفكيك الخيوط وإعادة تطريزها، ناهيك عن ضرورة السرعة في التطريز لكثرة الأعمال المطلوبة في داخل المنزل وخارجه. جميع هذه الأسباب التي تقلّل من دقّة تصوير الطيور تشكّك في وجود مطرّزات طيور متقنة على الثوب، وتعزّز فرضية نقلها عن رسوم مُحْتَرَفة من خلال الكتيبات. للتوضيح انظر النموذجين رقم (25) ، و (26) اللذين يمثّلان طيورًا تقليدية بسيطة التصوير، والنموذج رقم (27) ذا التطريز المعقّد والمتقن ما يرجّح أنه طير دخيل.

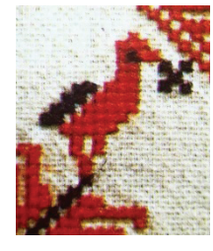

(25)

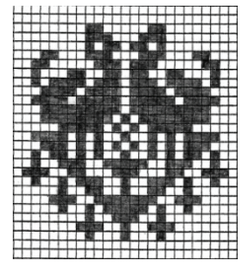

(26)

(27)

ب: **طيور ليست من بيئة القروي الفلسطيني**

يمثل التطريز في جانب منه تعبيرًا واضحًا عن مكوّنات البيئة القروية المحيطة بالمرأة، فكانت تُطَرِّزُ الطيور الداجنة مثل الحمام والدجاج والبط، والديك الرومي (الحبش) إن وجد، أو البرية المألوفة مثل العصفور والصقر والسمّان (الفرّ) وغيرها ممّا يمكن رسمه، إلا أنّ بعض الطيور التي نجدها في التطريز ليست من هذه جميعها، بل هي طيور غير معروفة في فلسطين مثل البجع الأوروبي والطاووس والببغاء. وهذا يؤكد عدم قدرة المرأة في تنفيذ رسم تلك الطيور، ناهيك عن دقّة تصويرها! للتوضيح انظر النماذج رقم (28) ، (29) ، (30) .

(28)

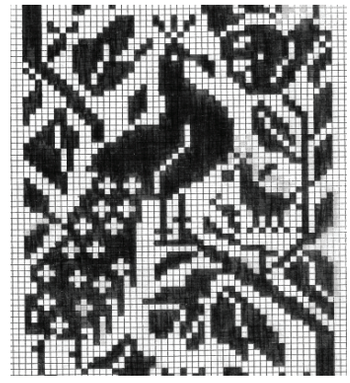

(29)

(30)

ج: **طيور أسطورية غير مصوّرة في الثقافة الشعبية**

لذات الأسباب في النقطة السابقة نتساءل هنا عن وجود طيور تعدّ أسطورية امتزج فيها الخيال بالواقع فأنتج مخلوقًا هجينًا غريبًا عن الثقافة الشعبية الفلسطينية. فكيف للمرأة القروية رسمه وتطريزه على الثوب؟ للتوضيح انظر النماذج رقم (31) ، (32) ، (33) .

(31)

(32)

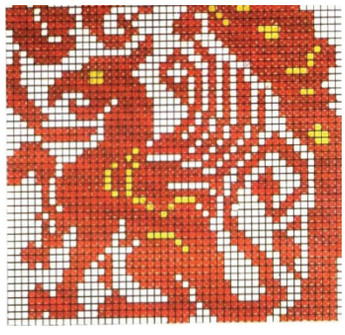

(33)

أما فرضية الدراسة الرئيسة والتي تدّعي احتواء الثوب النسوي التقليدي القروي الفلسطيني على مطرّزات طيور دخيلة ليست موروثة فإنّ الباحث يستعرض الأدلة في إثباتها من خلال عقد المقارنة التالية التي توضح خصائص مطرّزات الطيور الموروثة والدخيلة وأهمّ الفروقات بينهما، كما في الجدول الآتي:

الجدول رقم (1) :

المقارنة بين مطرّزات الطيور الموروثة والدخيلة من حيث الخصائص الرئيسة فيهما

الخاصّية	الطيور الموروثة	الطيور الدخيلة
البناء	بسيطة	معقّدة
الرسم	ثنائية البعد	ثلاثية البعد
الحركة	ساكنة	نشطة
الحجم	صغيرة	كبيرة

احتوى الثوب التقليدي على مطرّزات متنوّعة، منها الهندسي كالمثلث والمربّع، والنباتي مثل الأشجار والأزهار والبتلات، والحيواني مثل الطيور. وقد خلا الثوب على الأغلب من الأشكال الآدمية (المزيّن، 1981، 67) . وهذه المطرّزات إمّا صغيرة وبسيطة، أو كبيرة ومعقّدة، ومعظمها مبنيّ على نظام التماثل، أي أنّ نصفها يتطابق مع النصف الآخر، ما عدا تلك المبنية على أساس فردي مثل بعض الطيور والأزهار والحيوانات (عناني ومنصور، 2011، 32) ، وإليك توضيح الفروقات بين صنفي مطرّزات الطيور الموروثة والدخيلة: أولا – البناء: يظهر على مطرّزات الطيور الموروثة البساطة والسهولة في التنفيذ، انظر النموذج رقم (34) ، على خلاف مطرّزات الطيور الدخيلة التي يلاحظ عليها التعقيد والتداخل، انظر النموذج رقم (35) .

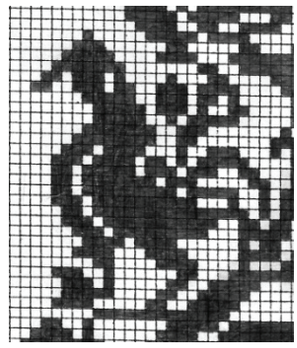

(35)

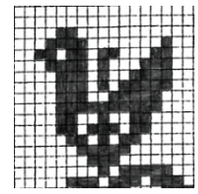

(34)

- **ثانيا – الرسم**:

تمتاز مطرّزات الطيور الموروثة بالتسطيح، أي الاكتفاء ببعدين وهما الطول والعرض، انظر النموذج رقم (36) ، على خلاف بعض مطرّزات الطيور الدخيلة التي يظهر عليها الاهتمام بالمنظور، أي البعد الثالث وإيضاح العمق في الرسوم، انظر النموذج رقم (37) .

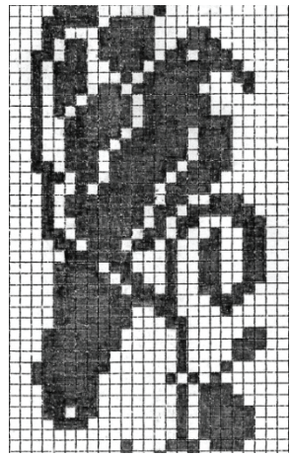

(37)

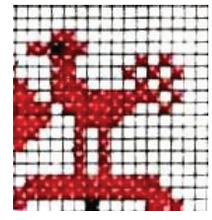

(36)

- **ثالثا – الحركة**:

نرى في بعض مطرّزات الطيور الموروثة حركة الطير البسيطة في جناحيه، انظر النموذجين رقم (38) ، (41) ، إلا أنه يُكتفى بوضعها في حالة السكون غالبا، ولذلك فإنّ الجناحان يبدوان مضمومان على الجسم، وتظهر القدمان بجانب بعضهما بدلا من أن تظهر واحدة خلف الأخرى، انظر النموذج رقم (39) ، على خلاف مطرّزات الطيور الدخيلة التي تمتاز بالنشاط والرفرفة، انظر النموذج رقم (40) .

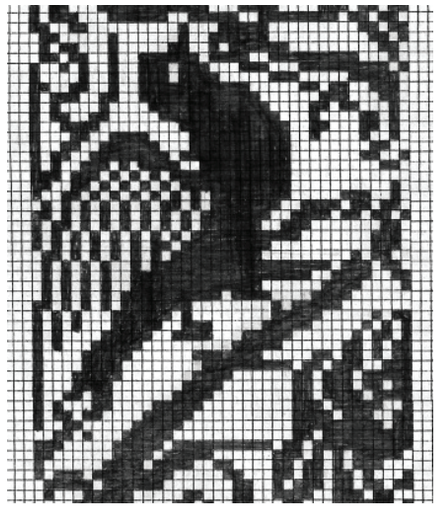

(40)

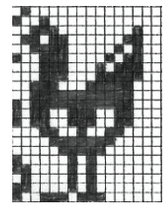

(39)

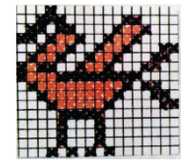

(38)

- **رابعا – الحجم:**

غالبا ما نرى صغر حجم مطرّزات الطيور الموروثة كما في النماذج السابقة وهذه سمة مرتبطة ببساطة الطير وعدم تعقيده، انظر النموذج رقم (41) ، على خلاف مطرّزات الطيور الدخيلة التي رافقتها سمة الحجم الكبير نسبيا، انظر النموذج رقم (42) .

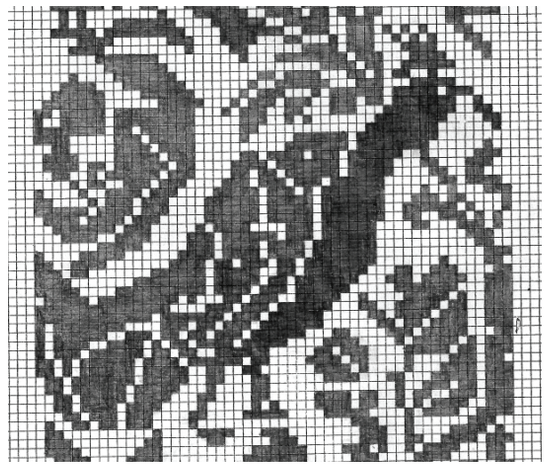

(42)

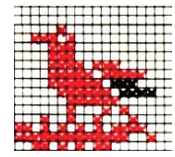

(41)

تبيّن من خلال المقارنة السابقة أنّ بنية مطرّزات الطيور الموروثة قد تشكّلت انطلاقًا من منظور المرأة الفلسطينية في رؤيتها البسيطة للتطريز، والذي تعبّر من خلاله عن قيمة الجمال وفقًا لتصوّرها ومخزونها الثقافي وتفاعلها بمحيطها من مكوّنات البيئة في القرية، فكانت المطرّزات بسيطة، وسهلة التنفيذ، ولا تحتاج للكثير من التأمل في أثناء عملية التطريز، ومرتبطة مع البيئة المحيطة في المرأة وقريتها. الخاتمة

توضّح من خلال الدراسة تأثّر الثوب المطرّز بالقطبة الفلاحية (المصلّبة) بالحداثة من خلال استحسان استنساخ المطرّزات الغربية المتنوعة المواضيع على الثوب، دون تغيير في بنية الثوب التقليدي من حيث قصّته أو توزّع المطرّزات عليه، وقد كان لمطرّزات الطيور نصيب وافر من هذا الاستنساخ حيث شمل جميع مواضع التطريز على الثوب. وإليك أهم ما خلص إليه الباحث من نتائج الدراسة وتوصياتها ومقترحاتها:

نتائج الدراسة

1. يقع للمطرّزات الدخيلة تأثير محدود على الثوب النسوي التقليدي إذ أنه لا يمسّ بنية الثوب أو أصول التطريز فيه.

2. توزّعت مطرّزات الطيور الدخيلة على الثوب النسوي التقليدي وشملته جميعه.

3. امتازت مطرّزات الطيور الموروثة بالبساطة وثنائية البعد وصغر الحجم وسكون حركة الطير.

4. امتازت مطرّزات الطيور الدخيلة بالتعقيد وثلاثية البعد وكبر الحجم ونشاط حركة الطير.

5. لعبت كتيبات خيوط DMC الدور الأكبر والرئيس في تسلل المطرّزات بصفة عامّة والطيور بخاصّة في الثوب النسوي القروي التقليدي.

6. ظهور ثوب "المورو – خيل" وانتشاره بسرعة، وازدهاره جليًا في خمسينيات القرن العشرين واستمراره إلى يومنا هذا.

7. نستطيع من خلال فهم خصائص مطرّزات الطيور الموروثة الحكم على المطرّزات بكونها أصيلة أم دخيلة.

التوصيات والمقترحات

1. ضرورة التفريق بين المطرّزات الموروثة والدخيلة والتمييز بينهما في المؤلفات والدراسات.

2. الاهتمام بالمطرّزات الموروثة وتوثيقها والحرص على عدم تشوّهها أو الخلط بينها وبين الدخيل عليها.

3. إجراء دراسة مسحية لكتيبات التطريز التي رافقت خيوط DMC ابتداء من مطلع الثلاثينيات من القرن الماضي، وبيان تأثيرها على مطرّزات الثوب النسوي التقليدي في فلسطين.

4. إنشاء متحف خاص للأزياء الشعبية التراثية سيّما الثوب المطرّز النسوي التقليدي القروي.

ملحق نماذج مطرّزات الدراسة

- (1 – 4) المربع، المعين، المثلث، الخط: ثياب من قرية برقوسيا – الخليل، مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزات بين (2005 – 2008) .
- (5 – 10) السرو، النخل، النجمة، القرص، الطيور: ثياب من قرية برقوسيا – الخليل، مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزات بين (2005 – 2008) .
- (11) الاسم: العصافير، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: لسيدة من قرية الجسير – غزة، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2009) .
- (12) الاسم: عش الحمام، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: رام الله (Skinner & Kawar, 2007, 120)
- (13) الاسم: العصافير، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: لسيدة من قرية بيت جبرين – الخليل، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في

عام (2006).

- (14) الاسم: العصافير، الموقع: القبّة، الثوب: لسيدة من قرية الجسير – غزة، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2006).
- (15) الاسم: العصافير، الموقع: القبّة، الثوب: لسيدة من قرية الجسير – غزة، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2009).
- (16) الاسم: الطير، الموقع: فوق القبّة (بين الرقبة والكتف) ، الثوب: لسيدة من قرية برقوسيا – الخليل، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2006).
- (17) الاسم: الديوك، الموقع: الكمّ، الثوب: لسيدة من قرية الفالوجة – غزة، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2008).
- (18) الاسم: قوّارة، الموقع: الذراع، الثوب: لسيدة من قرية الجسير – غزة، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2008).
- (19, 22) : (DMC, 1972).
- (20) : (DMC, 1974).
- (21, 23, 24) : (DMC, 1973).
- (25) الاسم: حمام، الموقع: القبة، الثوب: رام الله (قعوار وناصر، 1992، 31).
- (26) الاسم: العصافير، الموقع: فوق القبّة (بين الرقبة والكتف) ، الثوب: لسيدة من قرية برقوسيا – الخليل، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2006).
- (27) الاسم: الديك، الموقع: الكم، الثوب: رام الله، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2020).
- (28) الاسم: وزّ، الموقع: الكمّ، الثوب: رام الله (Skinner & Kawar, 2007, 115).
- (29) الاسم: الطاووس، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: لسيدة من قرية الجسير – غزة، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2007).
- (30) الاسم: نثرة، الموقع: بنايق، الثوب: الثوب: رام الله (عناني ومنصور، 2011، 49).
- (31) الاسم: الحيّة المريّشة، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: لسيدة من قرية برقوسيا – الخليل، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2006).
- (32) الاسم: الحيّة المريّشة، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: رام الله (عناني ومنصور، 2011: 134).
- (33) الاسم: السبع، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: رام الله (عناني ومنصور، 2011، 118).
- (34) الاسم: الجاجة، الموقع: فوق القبّة (بين الرقبة والكتف) ، الثوب: لسيدة من قرية برقوسيا – الخليل، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2007).
- (35) الاسم: الديك، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: لسيدة من قرية الفالوجة – غزة، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2006).
- (36) الاسم: الجاجة، الموقع: الغدفة (غطاء الرأس) ، الثوب: رام الله (عناني ومنصور، 2011، 224).
- (37) الاسم: العصافير، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: لسيدة من قرية بيت جبرين – الخليل، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2006).
- (38) الاسم: شكلة طير، الموقع: القبة، الثوب: الخليل (عناني ومنصور، 2011، 61).
- (39) الاسم: الجاجة، الموقع: فوق القبة (بين الرقبة والكتف) ، الثوب: لسيدة من قرية برقوسيا – الخليل، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2006).
- (40) الاسم: الحماة والكنّة، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: لسيدة من قرية برقوسيا – الخليل، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2006).
- (41) الاسم: العصافير، الموقع: ذيال (ردفة) ، الثوب: الثوب: رام الله (عناني ومنصور، 2011، 91).
- (42) الاسم: الطير، الموقع: عروق البدن والبنايق، الثوب: لسيدة من قرية الفالوجة – غزة، تسكن في مخيم إربد، تمّ توثيق المطرّزة في عام (2008).

المصادر والمراجع

أولا: العربية

- أبو جبين، عطا. (2012، أكتوبر). الأزياء الشعبية التراثية في جنوب محافظة الخليل، المؤتمر الرابع للفنّ والتراث الشعبي الفلسطيني– واقع وتحديات. جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.
- عبد اللطيف، مازن. (2012، أكتوبر). الزيّ الشعبي الفلسطيني بين الحداثة والتهويد. المؤتمر الرابع للفنّ والتراث الشعبي الفلسطيني– واقع وتحديات. جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.
- العلان، مروان. (2012، أكتوبر). التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني. المؤتمر الثالث للفنّ والتراث الشعبي الفلسطيني– واقع وتحديات. جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.
- عناني، نبيل ومنصور، سليمان. (2011). دليل فنّ التطريز الفلسطيني. (ط4) عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- قعوار، وداد وناصر، تانيا. (1992). التطريز الفلسطيني– الغرزة الفلاحي. (ط4). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الكسواني، ناهدة. (نوفمبر، 2011). الملابس الشعبية للمرأة في الخليل. المؤتمر الثالث للتراث الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل– هوية وانتماء، جامعة القدس المفتوحة. رام الله: فلسطين.
- المزيّن، عبد الرحمن. (1981). موسوعة التراث الفلسطيني، الأزياء الشعبية الفلسطينية. (ط1). منشورات فلسطين المحتلة: بيروت.
- مصلح، محمد. (2019). الأحداث السياسية وأثرها في مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي. مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، جامعة القدس المفتوحة. (51): 75–58.

ثانيا: ترجمة المصادر والمراجع العربية

- *Abu Jbain, A. (2012). Traditional folklore costumes in the southern Hebron Governorate, the fourth conference of heritage and art. An-Najah University: Nablus, Palestine.*
- *Abdullatif, M. (2012). Palestinian folklore costume between modernity and Judaization. Fourth Palestinian Art and*

Folklore Conference - Reality and Challenges. An-Najah National University: Nablus, Palestine.

- *Al-'Allan, M. (2012). The accumulation of civilization in the inscriptions of the Palestinian dress. The Third Conference Palestinian Art and Folklore - Reality and Challenges. An-Najah National University: Nablus, Palestine.*
- *Anani, N & Mansour, S. (2011). Palestinian Embroidery Handbook. Amman: El Ahlia for Publishing and Distribution.*
- *Kawar, W & Nasser, T. (1992). Palestinian Embroidery - Peasant Stitch, 4th ed., Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.*
- *Kiswani, N. (2011). Popular clothing for women in Hebron. The Third Palestinian Popular Heritage Conference in Hebron Governorate - Identity and Belonging. Al-Quds Open University: 250-278.*
- *Al-Muzain, A. (1981). Encyclopedia of Palestinian Heritage, Palestinian Popular Costumes. 1st ed., Occupied Palestine Publications: Beirut.*
- *Musleh, M. (2019). Political events and their impact on the embroidery of the Palestinian women's dress. Journal of Al-Quds Open University for Humanities and Research. Al-Quds Open University. (51): 58-75.*

ثالثا: الأجنبية

- *DMC. (1973). CZECHO-SLOVAKIAN EMPROIDERIES. MULHOUSE: France.*
- *DMC. (1972). BRODERIES YOUGOSLAVES- 2ME Série. MULHOUSE: France.*
- *DMC. (1974).CROSS STITCH- NEW DESIGNS- IVth Series. MULHOUSE: France.*
- *Skinner, Margarita & Kawar, Widad. (2007). Palestinian Embroidery Motifs a treasury of stitches 1850-1950. 1st ed. London: Melisene published.*